(سورة الحديد)

{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }

{ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

{ سبح لله ما في السموات والأرض } أظهر كل موجود تنزيهه عن الإمكان وقبول الفناء بوجوده الإضافي وثباته { وهو العزيز } القوي الذي يقهرها ويجبرها { الحكيم } الذي يرتب كمالاتها وعن العجز بحدوثه وتغيره وعن جميع النقائص بإظهار كمالات كل موجود ونظامها على ترتيب حكمي.

{ هو الأوّل } الذي يبتدىء منه الوجود الإضافي باعتبار إظهاره { والآخر } الذي ينتهي إليه باعتبار إمكانه وانتهاء احتياجه إليه فكل شيء به يوجد وفيه يفنى، فهو أوله وآخره في حالة واحدة باعتبارين { والظاهر } في مظاهر الأكوان بصفاته وأفعاله { والباطن } باحتجابه بماهياته وبذاته { وهو بكل شيء عليم } لأن عين ماهيته صورة من صور معلوماته إذ صور الأشياء كلها في اللوح المحفوظ وهو يعلم اللوح مع تلك الصور بعين ماهية اللوح المنقش بتلك الصور فعلمه بها عين علمه بذاته.

{ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

{ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ }

{ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ }

{ خلق السموات والأرض في ستة أيام } من الأيام الإلهية أي: الآلات الستة التي هي من زمان آدم إلى زمان محمد عليهما السلام جميع مدّة دور الخفاء، أي: احتجب بها فظهر الخلق دونه إذ الخلق احتجاب الحق بالأشياء وهذا الزمان زمان الاحتجاب كما ذكر في (الأعراف).

{ ثـم اسـتوى } عـلى عـرش القلـب المحمـدي بالظهـور في جميـع الصفـات غـير محتجـب بعضهـا ببعـض ولا الـذات بالصفـات ولا الصفـات بالـذات، بـل اسـتوت كلها في الظهـور في اليـوم السـابع أو في صـور المراتـب السـتّ مـن الجواهـر والأعـراض المذكـورة في (ق)، ثـم اسـتوى عـلى عـرش الـروح الأعظـم بالتأثـير في جميـع الأشـياء في الصـورة الرحمانيـة بالسـوية والظهـور باسـم الرحمـن { يعلـم مـا يلـج في } أرض العـالم الجسـماني مـن الصـور النوعيـة لأنهـا صـورة معلوماتـه { ومـا يخـرج منهـا } مـن الأرواح التـي تفارقهـا والصـور التـي تزايلهـا عنـد الفنـاء والفسـاد وهـي التـي تنـزل مـن السـماء وتعـرج فيهـا، أو مـا ينـزل مـن سـماء الـروح مـن العلـوم والأنـوار الفائضـة عـلى القلـب ومـا يعـرج فيهـا مـن الكليـات المنتزعـة مـن الجزئيـات المحسوسـة وهيئـات الأعـمال المزكيـة { وهـو معكـم أينـما كنتـم } لوجودكـم بـه وظهـوره في مظاهركـم { والله بمـا تعملـون بصـير } لسبق علمـه بـه وكونـه منقوشـاً في أربعـة ألـواح في عـالم ملكوتـه بحضرتـه { يولـج } ليـل الغفلـة في نهـار الحضـور { ويولـج } نهـار الحضـور في ليـل الغفلـة، ويسـتر الجـمال بالجـلال ويحجـب الجـلال بالجـمال { وهـو عليـم } بمـا أودع الصـدور مـن أسراره ودقائـق الغفلـة والحضـور وحكمتهـا ولطائـف التسـتر والتجـلي وفائدتهـما لا يعلمهـا إلا هـو.

{ آمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ }

{ وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ }

{ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }

{ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَـٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

{ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ }
{ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ }

{ آمنوا بالله } الإيمان اليقيني بتوحيد الأفعال { ورسوله } أي: لا تحتجبوا بأفعال الحق في إيمانكم بتوحيد الأفعال عن أفعال الخلق فتقعوا في الجبر وحرمان الأجر، بل شاهدوا أفعال الحق بالإيمان به جمعاً في مظاهر التفاصيل بحكم الشرع ليحصل لكم التوكل ويسهل عليكم الإنفاق من مال الله الذي هو في أيديكم وجعلكم مستخلفين فيه بتمكينكم وإقداركم على التصرّف فيه بحكم الشرع إذ الأموال كلها لله واختصاص نسبة التصرّف إنما هو بحكمه في شريعته،

{ فالذِين آمنوا منكم } بشهود الأفعال { وأنفقوا } عن مقام التوكل { لهم أجر كبير } في جنة الأفعال.

{ وما لكم لا تؤمنون بالله } وقد اعتضد السببان الداخلي والخارجي الموجب اجتماعهما للإيمان إيجاباً ذاتياً. أما الخارجي فدعوة الرسول الذي هو السبب الفاعلي، وأما الداخل فأخذ الميثاق الأزلي وهو الاستعداد الفطري الذي هو السبب القابلي وقوة الاستدلال { إن كنتم مؤمنين } بالقوة، أي: إن بقي نور الفطرة والإيمان الأزلي فيكم.

{ هو الذي ينزّل على عبده آيات بينات } من بيان تجليات الأفعال والصفات والذات { ليخرجكم } من ظلمات صفات النفس والهيئات البدنية المستفادة من الحس إلى تنوّر القلب ومن ظلمات صفات القلب إلى نور الروح ومن ظلمات وجوداتكم وإنباتكم إلى نور الدين، وهي الظلمات المشار إليها بقوله:

{ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ }[النور، الآية:٤٠]

{ وإنّ الله بكم لرؤوف رحيم } يدفع آفة النقصان عنكم بهبة الاستعداد وتوفيق الهداية إلى إزالة الحجب ببعث الرسول وتعليمه إياكم، رحيم بإفاضة الكمالات مع حصول القبول بتزكية النفوس وتصفية الاستعدادات.

{ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل } أي: بذلوا أموالهم وأنفسهم قبل الفتح المطلق الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعراج التام

والوصول إلى حضرة الوحدة { أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد } لقوة استعدادهم وشدّة أنوار باطنهم الأصلية عرفوه وألفوه بتسامّ الروح وظهرت عليهم كمالاتهم من غير واسطة تأثيره فيهم وهم الذين غلبت عليهم القوة القدسية التي

{ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ }[النور، الآية:٣٥]،

وأما { الذين أنفقوا من بعد } فلضعف استعداداتهم وقلّة نوريتها احتاجوا إلى قوة تأثيره فيهم وإخراج كمالاتهم إلى الفعل { وكلاً وعد الله } المثوبة { الحسنى } لحصول اليقين وظهور الكمال كيف كان مع تفاوت الدرجات بما لا تحصى، إذ الآخرون هم الذين حازوا الكمال الخلقي في مقام النفس الذين أقرضوا الله أموالهم رغبة في الإضعاف من الثواب وكرامة الأجر، والأوّلون هم السابقون الذين تجرّدوا عنها ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم في طريق الحق فهم المؤمنون الذين { يسعى نورهم بين أيديهم } لكونهم على الصراط المستقيم متوجهين إلى وجه الله بتوحيد الذات، والمتأخرون هم الذين يسعى نورهم بإيمانهم لكونهم أصحاب اليمين من المؤمنين والمؤمنات الكائنين في مقام القلب واليقين { بشراكم اليوم } خطاب لكلا الفريقين مع تغليب السابقين لذكر الجنات الثلاث، ووصف الفوز بالعظم إذ عظم الفوز إنما هو للفرقة الثالثة، وأما فوز من دونهم من أصحاب الجنّتين فموصوف بالكبير والكريم.

{ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ }

{ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغرَّتْكُمُ ٱلأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ }

{ فَٱلْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ }

{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }

{ ٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِي ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }

{ يوم يقول المنافقون والمنافقات } أي: المستعدّون الأقوياء الاستعداد والضعفاء المحجوبون بصفات النفوس وهيئات الأبدان، المنغمسون في ظلمات الطبائع وغسق الآثام الذين قد بقي فيهم مسكة من نور الفطرة ولم تنطف بالكلية يشتاقون به إلى نور الكمال الحاصل لفريق المؤمنين ويلتمسونه ويطلبونه في حسرات وزفرات عند بروزهم عن حجاب البدن بالموت وظهور الحرمان محبوسين واقفين في حضيض النقصان، متندّمين عند تبين الخسران والمؤمنون يمرّون كالبرق الخاطف لا يلفتون إليهم.

{ انظرونا نقتبس من نوركم } بجنسية الاستعداد وظاهر الإسلام

{ قيل ارجعوا وراءكم } إلى الدنيا ومحل الكسب، فإن النور إنما يكتسب بالآلات البدنية والقوى الجسمانية من الحواس الظاهرة والباطنة بالأعمال الحسنة والعلوم الحقة { فضرب بينهم بسور } هو البرزخ الهيولاني الذي يحتجبون به على حسب اقتضاء هيئاتهم الظلمانية { له باب } هو القلب، إذ لا يطلع من عالم القدس على عالم الرجس إلا من طريق القلب { باطنه } وهو عالم القدس { فيه الرحمة } أي: النور والروح والريحان وجنة النعيم من المراتب المذكورة { وظاهره } الذي يلي النفس وهو عالم الرجس ومقرّ تلك النفوس المظلمة من الأشقياء

{ من قبله } أي: من جهته { العذاب } الذي يستحقونه بحسب هيئاتهم وتنوّعها وهذا الباب لا مفتح له من جهة ظاهره الذي إلى الأشقياء بل هو مسدود مغلق لا ينفتح أبداً. وأما من جهة باطنه فكلما شاء أهل الجنة من السابقين انفتح لهم فاطلعوا على أهل النار وتعذّباتهم ويدخلون عليهم فينطفىء لهب النار من نورهم بل يحرق نورهم النار بالنسبة إليهم دون الجهنميين فتقول جهنم: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي.

{ ألم نكن معكم } في الفطرة الأولى وعين جمع الصفات

{ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم } ابتليتموها باللذات الحسية والشهوات البدنية والصفات البهيمية والسبعية { وتربصتم } باستيلاء التخيلات من الآمال والأماني الغالبة بدواعي الحسد والطمع { وارتبتم } باستيلاء الوهميات على المعقولات وغلبة الأوهام على العقول { وغرّتكم الأماني } بدواعي الوهم ومقتضى التخيل { حتى جاء أمر الله من الموت وحصول العقاب.

{ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها } تمثيل لتأثير الذكر في القلوب وإحيائها.

{ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ }

{ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَآ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ }

{ ٱعْلَمُوۤاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَٰوةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلأَمْوَٰلِ وَٱلأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَٰوةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ }

{ إنّ المصدّقين والمصدّقات } من المؤمنين بالغيب في مقام النفس لقوله:

{ ولهم أجر كريم * والذين آمنوا بالله ورسله } من أهل الإيقان في مقام القلب لقوله: { لهم أجرُهُم } أي: من جنة النفس ونورهم من جنة القلب بتجلي الصفات { أولئك هم الصدّيقون } بقوة اليقين { والشهداء } أهل الحضور والمراقبة والذين حجبوا عن الذات والصفات في مقابلتهم، أي: ليسوا من أهل الإيمان بالغيب ولا من أهل الإيقان { أولئك أصحاب } جحيم الطبيعة.

{ سَابِقُوۤاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ }

{ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ }

{ لِّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ آتَاكُمْ وَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } { ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ }

{ سابقوا إلى مغفرة من ربّكم } لما حقّر الحياة الحسية النفسية الفانية وصوّرها في صورة الخضراء السريعة الانقضاء دعاهم إلى الحياة العقلية القلبية الباقية فقال: { سابقوا إلى مغفرة من ربكم } أي: تستر صفات النفس بنور القلب { وجنّة عرضها } العالم الجسماني بأسره لإحاطة القلب به وبصوره أو نفرهم عن الحياة البشرية ودعاهم إلى الحياة الإلهية أي: سابقوا إلى مغفرة تستر ذواتكم ووجوداتكم التي هي أصل الذنب العظيم بنور ذاته وجنّة عرضها سموات الأرواح وأرض الأجساد بأسرها، أي: الوجود المطلق كله الشامل للوجودات الإضافية بأجمعها { أعدّت للذين آمنوا بالله ورسوله } الإيمان العلمي اليقيني على الأول والإيمان العيني والحقي على الثاني{ ما أصاب من مصيبة } من الحوادث الخارجية والبدنية والنفسانية { إلا في كتاب } هو القلب الكلي المسمى باللوح المحفوظ. لتعلموا علماً يقيناً أنه ليس من لكسبكم وحفظكم وحذركم وحراستكم فيما آتاكم مدخل وتأثير، ولا لعجزكم وإهمالكم وغفلتكم وقلّة حيلتكم وعدم احترازكم واحتفاظكم فيما فاتكم مدخل، فلا تحزنوا على فوات خير ونزول شر ولا تفرحوا بوصول خير وزوال شرّ إذ كلها مقدّرة { إنّ الله لا يحب كل مختال }

أي: متبختر من شدّة الفرح بما آتاه

{ فخور } به لعدم يقينه وبعده عن الحق بحب الدنيا وانجذابه إلى الجهة السفلية بمنافاته للحضرة الإلهية واحتجابه بالظلمات عن النور.

{ الذين يبخلون } لشدّة محبة المال { ويأمرون الناس بالبخل } لاستيلاء الرذيلة عليهم { ومن يتول } أي: يعرض عن الله بالتوجه إلى العالم السفلي والجوهر الغاسق الظلماني { فإنّ الله هو الغنيّ } عنه لاستغنائه بذاته { الحميد } لاستقلاله بكماله، أي: يخذله ويمهله.

{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }

{ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }

{ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات } بالمعارف والحكم { وأنزلنا معهم الكتاب } أي: الكتابة { والميزان } أي: العدل لأنه آلته { وأنزلنا الحديد } أي: السيف لأنه مادّته وهي الأمور التي بها يتم الكمال النوعي وينضبط النظام الكلي المؤدّي إلى صلاح المعاش والمعاد إذ الأصل المعتبر والمبدأ الأول هو العلم والحكمة، والأصل المعوّل عليه في العمل والاستقامة في طريق الكمال هو العدل، ثم لا ينضبط النظام ولا يتمشى صلاح الكل إلا بالسيف والقلم اللذان يتم بهما أمر السياسة، فالأربعة هي أركان كمال النوع وصلاح الجمهور ويجوز أن تكون البينات إشارة إلى المعارف والحقائق النظرية، والكتاب إشارة إلى الشريعة والحكم العملية، والميزان إلى العمل بالعدل والسوية، والحديد إلى القهر ودفع شرور البرية.

وقيل: البينات العلوم الحقيقية والثلاثة الباقية هي النواميس الثلاثة المشهورة المذكورة في الكتب الحكمية، أي: الشرع والدينار المعدّل للأشياء في المعاوضات والملك وأيّاً ما كان فهي الأمور المتضمنة للكمال الشخصي والنوعي في الدارين إذ لا يحصل كمال الشخص إلا بالعلم والعمل ولا كمال النوع إلا بالسيف والقلم. أما الأول فظاهر وأما الثاني فلأن الإنسان مدنيّ بالطبع محتاج إلى التعامل والتعاون لا تمكن معيشته إلا بالاجتماع، والنفوس إما خيرة أحرار بالطبع منقادة للشرع وإما شريرة عبيد بالطبع آبية للشرع.

فالأولى يكفيها في السلوك طريق الكمال، والعمل بالعدالة اللطف وسياسة الشرع والثانية لا بدّ لها من القهر وسياسة الملك.

{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

{ لِّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ }

{ يا أيها الذين آمنوا } الإيمان اليقيني { اتّقوا الله } بالتجرّد عن صفاتكم والتنزه عن ذواتكم { وآمنوا برسوله } بالاستقامة في أعمالكم وأحوالكم على طريق المتابعة { يؤتكم كفلين من رحمته } في جنة النفس { ويجعل لكم نوراً } من أنوار الروح وتجليات الصفات في مقام القلب { تمشون به } تسيرون به في الصفات { ويغفر لكم } ذنوب ذواتكم { والله غفور } بإفناء البقيات { رحيم } بهبة الوجودات الحقانيّة بعد فناء الأنيات { لئلا يعلم أهل الكتاب } أي: المحجوبون بالرين عن الحق أو بطريق الضلالة ودين الباطل عن الصراط المستقيم ودين الحق .

{ ألا يقدرون على شيء من فضل الله } لأنه موهوب لا يمكن اكتساب

{ وأنّ الفضل بيد الله } أي: في تصرفه وتحت ملكه وقدرته { يؤتيه من يشاء } موهبة لا كسباً منه { والله ذو الفضل العظيم } الذي هو نهاية الكمال، والله تعالى أعلم.